

الفصل الخامس

شرف الدين ابن أبي عَصْرُون في الميزان

- أ - شخصية عبدالله بن أبي عَصْرُون
- ب - انتاج عبدالله بن أبي عَصْرُون العلمي
- ج - انتاج شرف الدين بن أبي عَصْرُون الأدبي .
- أ - شخصيته :

أ - شخصية عبد الله بن أبي عسرون :

لا شك في ان شخصية شرف الدين تمتعت برضى أكبر شخصيتين في الدولة الزنكية والدولة الأيوبية، أعنى بهما نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي. وقد اثارت هذه الشخصية جدلاً كبيراً بين محب راغب فيها وكاره راغب عنها. ولا شك أيضاً في ان النجاح الذي لاقته في معظم الأحيان كان مدعاة لاثارة الخصوم والحاسدين.

ولعل شرف الدين بن أبي عسرون بنجاحه الكبير قد اثار حوله موجة من الاحترام والتقدير عند جماهير المسلمين سواء في عهد نور الدين أو عهد صلاح الدين. ولكن هذا النجاح من باب آخر جلب لصاحبه المتاعب وأوجد شخصيات لا تبادله الحب بمثله. وتصور لنا المصادر والمراجع طرفاً من عداء كمال الدين الشهرزوري قاضي قضاة الشام لشرف الدين عبدالله بن أبي عسرون. فالوهراني بأسلوبه الأدبي الهادف وبأدبه الرمزي يصور لنا محاكمة يوم الحساب تجري لكمال الدين الشهرزوري يتدخل فيها السوحي السهاوي لحساب الشهرزوري نظراً لكرمه فيأتي قضاء الله العادل بوقوف الشهرزوري بين الجنة والنار ويحضر المقام المشهود كل يوم ويقدم ما يسيء إلى شرف الدين عبدالله بن أبي عسرون بدرجة كافية لأخذه بالعقاب عندما يأتي دوره للحساب في اليوم الآخر «وقد قدم لابن أبي عسرون مقدمات ردية ما أظنه من شرها بناج»^(١).

ثم يستمر الوهراني بأسلوبه المتميز يصور لنا جوانب أخرى وصوراً جديدة عن هذا العداء عندما نقل لنا رسالة رمزية موجهة من الجامع الأموي بدمشق إلى شرف الدين بن أبي عسرون يشكوه فيها.

(١) الوهراني: مقامات الوهراني ومناماته ورسائله ص ٢٨.

وجاء فيها انه ذئب غدار ومن استرعى الذئب فقد ظلم بها وتتهمه بأنه اكتنز الأموال واختزها وجمع الذخائر لنفسه واختص بها وأهمل أمور المساجد بها الموكول إليه رعايتها والانفاق عليها.

ثم تستمر الرسالة في توجيه الاتهامات إلى شرف الدين عبدالله بن أبي عسرون قائلة: «من اجل هذا كانت سياحتك ولأجله طالت نياحتك وبسببه كنت تسبح تصبح حتى غبطك المسيح ، لقد عجبت أيها الشيخ سن محالك في ابتداء حالك ومن فساد أمرك عن آخر عمرك ومن فساد دينك وضعف يقينك^(١)»

وجميع مواد هذه الرسالة طعن موجه إلى شرف الدين بن أبي عسرون في دينه وقضائه وحياته وآخرته ورحلاته وعبادته .

ومما يتفق مع المنطق السليم ان يثور شرف الدين عند استلامه مثل هذه الرسالة ويصور لنا الوهراني هذه الثورة بأسلوبه المتميز قائلاً: «فلما وصل الكتاب إليه وقرأ ما قد انطوى فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس ثم أدبر واستكبر^(٢)» ثم لعن المساجد وبانيها وهذه عبارة لا اظن انها ستصدر من فقيه مثل ابن أبي عسرون ولكن الوهراني ذكرها ليتم المعنى الذي اراده ويصور ثورة ابن أبي عسرون وغضبه . والمهم ان عبدالله بن أبي عسرون كتب على ظهر الرسالة اشياء غير سارة . ومن الطريف ان ننقل هذا الرد لطرافته .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلت رقعتك اصلحك الله ، كأنها ضربة موتور او نفثة مصدرور، وتخلط فيها الهزل بالجد وتبدي غيظ الأسير على القبر وأيم الله لقد فرقت سريا وقذفت برياً وجئت شيئاً فرياً فاشدد من عقالك

(١) الوهراني : مقاماته ومناماته ورسائله ص ٦٧ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٦٨ .

وتأيد في مقالك . فما شكل يذم شكله ولا كل طائر يحل أكله (وما كل بيضاء سخمه ولا كل سوداء فحمة) . ولو كان لك عقل يهديك أو رأي يهديك لوأريت أورك ولسترت عوارك . أليس قد اشتهر عند الداني والقاصي بأنك قطب (ما يتم فيك) من المعاصي؟ حتى لقبوك بسوق الفسوق وميدان المروق ورحاب القحباب حتى قال فيك القائل :

تجنب دمشق (فلا تأتها) وان راقك الجامع الجامع
فسوق الفسوق به قائم وفجر الفجور به طالع
فلا جرم ان الله قطعك بالطريق وعاقبك بالحريق وجعل الميص على
ابوابك والزط في قبلة محرابك وعذبك بالنيران وقرنك بأشر الجيران وجعل
خطيبك أتوها دائصاً وامامك أعمى ناقصاً فلو انك البيت المعمور لهجرت
او حرم مكة لما حججت فقف عند مقدارك وانظر في ايرادك واصدارك،
والسلام» .

ويشتم من هذا الرد بلاغة العبارة وقوة الألفاظ مع وضوح المعنى وشدة
النبرة وصدقها لأنها نابعة من نفس مطعون بها فلا أقل من ان ترد بمستوى
الانتهاج .

ويصور الوهрани^(١) المسألة بعد ذلك وموقف نور الدين منها عندما رفع
الجامع الأمر إلى نور الدين زنكي الشهير بغضب حين وصله رد ابن أبي
عصرون .

ويصدر الوهрани الأمر هنا على حقيقته عندما يذكر لنا موقف نور الدين
زنكي من رسالة المسجد ومن شرف الدين ابن أبي عصرون فيقول: «فلما
وقف الملك العادل على كتابه وتجرع كأس عتابه التفت إلى المساجد فرثي لهم

(١) الوهрани: مقامات الوهрани ومناماته ورسائله ص ٦٩ .

وسدد احوالهم . ولما علم فحوى شكاياتهم وعرف كنه قضيتهم ازال عنهم ظلمهم (وأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) ثم نظر إلى ابن أبي عصرون فانزله واعتزله وحجبه عن بابه واختزله وألقاه في سجن الصدود وخلده فيه إلى يوم الخلود وقرأ عليه ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود» .

ان مجمل هذه الكتابات كما وردت على لسان الوهراني تمثل جانبا من الحقد على شرف الدين بن أبي عصرون وتبين ان للرجل اعداءً يودون العمل ضده وابعاده عن نور الدين . لأنهم يعرفون أن نور الدين المؤمن بالله إلى ابعد الحدود لا يمكن أن يترك من يهمل شأناً من شئون المسلمين في مكانه مهما غلت منزلته فالحق أحق إن يتبع . ولكننا لم نسمع بمثل هذا الخلاف بين شرف الدين بن أبي عصرون ونور الدين زنكي في المصادر الأخرى المعاصرة . ولو حصل من ابن أبي عصرون شيء لذكرته ولحاول شرف الدين ان ينفي التهمة عنه ولحصل حوار مع نور الدين ولكان الاجدر بالمصادر ذكره ولكنها لم تفعل مما يدفعنا إلى الشك في مثل هذه الرواية . والمعتقد ان القصد من ورائها تصوير الخلاف الحاصل بين شرف الدين والذين يعملون ضده ليس الا .

وقد ذكر كمال الدين الشهرزوري شعرا يعرض فيه بشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون نجتزىء منه :

| | |
|------------------------|--------------------------|
| يا راكباً يطوي الفلا | بشملة حرفٍ وخود |
| عرجٍ بمشهد كربلاء | وانخ وعقرٍ في الصعيد |
| واقراً التحية وأدعُ يا | ذا المجد والبيت المشيد |
| اولادك الانجاب في | ارض الجزيرة كالعبيد |
| أوقافهم وقف على | دفي ومزمار وعود |
| ومدامة خضبت بها | ايدي الشُّقاة إلى الزنود |

ودعي بيتك لا يفكر في الجحيم ولا الخلود
هو وابن عصرون الطويل ويوسف النذل اليهودي
ان كان هذا ينتمي حقاً إلى البيت المشيد
فالي يزيد إلى يزيد الى يزيد إلى يزيد^(١)
ويشتم من هذا الشعر روح العداوة بين الطرفين حيث يطعن
الشهرزوري بشرف الدين ويشبهه باليهود ويشنع بهذا عليه .

كانت له جولات مع شرف الدين ابن أبي عصرون وطعن به الشاعر
الهجاء المقذع في هجائه واقصد به الشاعر ابن عنين فقد وجه هذا الشاعر
هجاءً مقذعاً لشرف الدين بن أبي عصرون وإلى ولده محيي الدين محمد
نجتزىء منه :

وما هجوت ابن عصرون أروم له فضلاً ولا نلت من فخر ولا شرف
لكن أجرب فيه خاطري عبثاً كما تجرّب بيض الهند في الجيف
ولعل من الهجاء المقذع الذي وجهه ابن عنين إلى شرف الدين
عبدالله بن أبي عصرون اثناء مرض الأخير بالحمى ما يبرز الحقد الدفين بينهما
ومنه :

لما تشكى ابن عصرون إلى حمي وقال : داءٌ عضال قد رميت به
في سفله حار فيه كل بيطار أعياء وقصرٌ عنه كل مسبار
من قابسٍ شيط الوجعاء بالنار^(٢) لله درك شكرا للصنيعه بي
إلى ان يقول :

(١) الأصفهاني: خريدة القصر قسم شعراء الشام ٣٢٧/٢ .

(٢) ابن عنين: ديوانه تحقيق خليل مردم بك ص ١٩١ .

يا عمر ما وقفة في رسم منزله أنار شوقك فيها نحو أثار^(١)
وقال يهجو محيي الدين ابن شرف الدين أبوسعدي بن أبي عصرون وجاء
الهجاء بشكل خطاب موجه إلى صلاح الدين وقد خرج معه محيي الدين
للغزو والقتال . ولا بأس ان نقدم شيئاً هنا من هذه القصيدة:

صلاح الدين يا خير البرايا ومن قد عمَّ بالفضل الرعايا
سمعت بأن محيي الدين يغشى الوغى والحرب ضارية المنايا
فلا تشهد بصفعان قتالاً ففوس الندف لاتصمي الرمايا^(٢)

ولعل أشد أنواع الهجاء تأثيراً على النفس البشرية ان تذكرها بما يعتبر
نقصاً فيها مع وجوده . ومن هذا المنطلق فقد هجا ابن عنين ابن عصرون
معيراً إياه بما أصابه من العمى ولزومه البيت فقال فيه عندما أصاب المسلمين
الشك في ثبوت عيد الأضحى :

لا غرو أن ضاعت الاعياد بينكم رفقاً كأني بكم قد ضاعت الجُمعُ
فليعجب الناس من قومٍ يقودهم إلى الضلالة أعمى وهو مُتَّبِعُ
قد كذَّبوا ما رأوه وهو متضح وصدقوا ما رواه وهو ممتنع^(٣)
وإلى هنا نكون قد رسمنا ما يوضح الجانب الحاقدي على شرف الدين ابن
أبي عصرون المتمثل فيما قدمناه من رسائل طعن وأبيات هجاء قالها ونظمها
الحاقدون على شرف الدين الساعون إلى ابعاده عن نور الدين زنكي وصلاح
الدين فيما بعد ، ولكن ابن أبي عصرون لم يكن شخصية عادية بل متميزة عن
غيرها قوية في مواطن الضعف فرأيناه كيف وقف منفرداً أمام كل الفقهاء في

(١) المصدر السابق ذكره ص ١٩٢ .

(٢) ابن عنين: ديوانه ص ١٩٢ المصدر السابق ذكره .

(٣) المصدر السابق ذكره ص ١٩٣ .

الوقت الذي كان فيه من المفروض انهزامه ولكنه ثبت وبقي في منصب قاضي القضاة رغم انف الحاقدين .

وما دمننا قد قدمنا الجانب المظلم من شخصية ابن أبي عصرون إن جاز لنا التعبير بقي ان نقدم الجانب المشرق من هذه الشخصية وبمعنى ادق ما دمننا ذكرنا طرفاً من طعن الحاقدين بشخصية ابن أبي عصرون علينا ان نقدم طرفاً من مدح المادحين في هذه الشخصية .

فلو امعنا النظر في المصادر والمراجع التي أرخت وترجمت لشرف الدين لظهر لنا هذا بجلاء . فابن الدهان صديق شرف الدين وتلميذه الوفي وقف موقفاً ودياً من استاذة ولم ينسه وقت الشدة والضيق . فاستغل ابن الدهان كل فرصة تمر في حياة استاذة ليقوم بما يمليه عليه الواجب فاستغل فرصة وفاة احد ابناء شرف الدين في حياته واعني شهاب الدين ابن أبي عصرون فصاغ في هذا الموقف شعراً مؤثراً ومعبراً في نفس الوقت منه :

يأبى التأسى انهاء الأسي الجلدا فان نعي رواه للعزاء ردا
أذكى بقلبي نارا لا خمود لها قول النعاة شهاب الدين قد خمدنا
فالعين بعدك عين والفؤاد لظى نارٌ فلا رقات دمعاً ولا بردا
من للفتاوي اذا أعيت غوامضها يحلُّ مُشكلها المستصعبُ العُقدا
من للخصوم اذا أبدت شقاشقها ومال جامعها في غيِّه لَدَدَا(١)

وهي طويلة ومنها :

لمن أبقي دموعي بعد فرقه والدهر لم يُبق لي من بعده جلد!
صلى عليه اله العرش في الملاء الأعلى ووالى له من لطفه مددا(٢)

(١) ابن الدهان : ديوانه ص ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ذكره ص ١٤١ والقصيدة طويلة ص ١٣٨ - ١٤١ .

ولم ينس ابن الدهان استاذَه وصديقه شرف الدين ابا سعد فقد مدحه
بقصيدة طويلة منها:

فلا وصلها يبدو فتبلى بلا بلى
نحيلة جفن العين من غير علة
أرى سودها أمضى وأفتك في الحشا
إلى ان يقول:

فبالشرف الأعلى هواها وشكرها
متى قصدت في طرقتها دون عزة
وان طمعت من غيرة في نواله
ندى شرف الدين بن عصرون دينها
فلا انفرجت عن سهل أمر حزونها
فلا صدقت فيما رجته ظنونها^(١)

ويجب ان لا ننسى في هذا المجال علاقة شرف الدين ابن أبي عصرون
بالعماد الأصفهاني الكاتب. فقد ظهرت الشتويات الشعرية، وهي القصائد
الأخوانية التي يتبادلها الشعراء للتسلية طيلة أيام الشتاء الطويلة لشغل أوقات
الفراغ بما يفيد والترويح عن النفس، وظهر مثل هذا النوع في بلاد الشام،
وجرى منه طرف بين شرف الدين ابن أبي عصرون والعماد الأصفهاني الكاتب
نجتريء منه:

أيا شرف الدين ان الشتا
وكفك من كرم كافها
وانك من عرفه شكرنا
بكافاته كف آفاته
لقد كفلت لي بكافاته
غدا عاجزاً عن مكافاته^(٢)

(١) ابن الدهان: ديوانه ص ١٠٧ - ١٠٨ مصدر سابق.

(٢) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء سوريا ٣٥٢/٢ ذكر بيتاً واحداً فقط.

أبوشامة: كتاب الروضتين ١/١٤٩.

عمر موسى باشا: الادب في بلاد الشام ص ٥٢٩.

فلما استلم شرف الدين هذه المقطوعة الشعرية، كتب في الجواب إلى الأصفهاني:

إذا ما الشتاء وامطاره عن الخير حابسة مانعة
وكافاته الست اعطيها وحاشاك من كافه الرابعة
وكف المهانة والاحتشام لكفى عن بره مانعة
وهمة كل كريم النجار بميسور أحبابه قانعة
ونفسي في عذري لديه جعلتُ الفداء له طامعة
وشوقي إلى قربه زائدٌ ومعذرتي ان جفا واسعة^(١)
كان هذا عام ٥٦٣هـ في حلب عندما أصبح عماد الدين الأصفهاني كاتباً
لنور الدين محمود زنكي. وفي احد المرات حضر الأصفهاني إلى طرف شرف
الدين عبدالله بن أبي عصرون وكتب إليه:

أيا من له همّة في العلى لذروتها أبداً فارعة
ومن كفه ديمة ما تزا ل بالعرف هامية هامعة
وللفضل في سوق أفضاله بضائع نافقة ناقعة
وهل كابن عصرون في عصرنا إمام أدلته قاطعة؟^(٢)
فحبرٌ فوائده جمه بحرٌ موارده واسعة
أيا شرف الدين شرفتني باهداء رائقة رائعة
أطعت اوامرك الساميات وما برحتُ همتي طائعة
أرى كل جارحة لي تودّ لو أنها اذن سامعة
واما الشتاء وكافاته وكفك عن كافه الرابعة

(١) الأصفهاني: خريدة القصر، شعراء الشام ٣٥٣/٢.

أبوشامة: كتاب الروضتين ١٤٩/١.

(٢) أبوشامة: كتاب الروضتين المصدر السابق الذكر.

فنفسي مُنزّهة بالعفا ف عنها وفي غيرها طامعة
وماذا تطيق اذا لم تكن بميسور سيدنا قانعة؟^(١)
وبعد فان المصادر المتوفرة في اليد تجمع على أن ابن أبي عصرون شخصية
متميزة لها سماتها الفريدة فقد وصفه ابن تغري بردي^(٢) بأنه كان «اماماً فاضلاً
مصنفاً» ووصفه السبكي^(٣) صاحب طبقات الشافعية بقوله: «نزيل دمشق
وقاضي القضاة بها وعالمها ورئيسها». وقال عنه موفق الدين ابن قدامة
المقدسي^(٤): كان إمام اصحاب الشافعي في عصره ونعته ابن الصلاح بأنه
من افقه أهل عصره وإليه المنتهى في الفتاوي والاحكام^(٥).

واما العماد الأصفهاني^(٦) احد تلاميذه الكثر وصديقه المخلص وشريكه
في الحكم والادارة أيام نور الدين وصلاح الدين فوصفه بقوله: «حجة
الإسلام مفتي العراق والشام شيخ العلم العلامة وبفتياه توطدت للشرع
الدعامة وله الفخار والفخامة، وليس في عصرنا من أتقن مذهب الشافعي
عنه مثله وقد أشرق في الافاق فضله وصنف في المذهب تصانيف مفيدة
قواعدها في العلم مهيدة».

ولا أظن انه بقي مزيد فضل يضاف إلى قول الأصفهاني. ومع ان فيه
شيئاً من المبالغة كما يبدو الا انه يظل الاساس المقبول للتعامل من خلاله مع
شخصية شرف الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عصرون.

(١) المصدر السابق ذكره ١/١٥٠.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/١٠٩.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية ٧/١٣٢.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤/٢٨٣.

بدران: منادمة الأطلال ص ١٣٢.

(٥) المصدران السابقان.

(٦) الأصفهاني: خريدة القصر، شعراء الشام ٢/٣٥١.

ب - انتاج ابن أبي عصرون العلمي :

ومما يتصل بشخصية ابن أبي عصرون في هذا المجال الجانب العلمي والانتاج الذي قدمه في ميادين اختصاصه . لذا يجب علينا ان نعرج على هذه المؤلفات لتكون دليلاً على علو كعبه وبرهاناً على ما قدمنا من صورة مشرقة لشرف الدين عبدالله بن أبي عصرون .

فالمصادر المتوفرة لدينا تمدنا بمصنفات كثيرة صنفها شرف الدين نذكر

منها :

«صفوة المذهب من نهاية المطلب» وهو في سبع مجلدات، «الانتصار» في اربع مجلدات، «المرشد» في مجلدين، «الذريعة في معرفة الشريعة» مجلد . «التيسير» في الخلاف في أربع مجلدات . «مآخذ النظر» و«مختصر الفرائض» و«الارشاد المغرب في نصره المذهب» ولم يكمله وذهب فيما ذهب له بحلب^(١) .

وله مؤلفات أخرى منها : «التنبيه في معرفة الأحكام» ، «فوائد المذهب» في مجلدين^(٢) . و«الموافق والمخالف»^(٣) ، و«فوائد المنذري» في مجلدين . وجمع

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥٤/٣ .

(٢) الصفدي : نكت الهميان ص ١٨٥ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ١٣٣/٧ .

الاسنوي : وذكر الانتصار والمرشد وفوائد المذهب والتنبيه فقط .

ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٣٣٤ ويسمى ابن كثير : الانتصار «بالانتصاف» .

العيني : عقد الجمان ميكرو فيلم بجامعة الكويت ج/ ١٣ رقم ٦٠٢ ص ٧٦-٧٧ .

ابن طولون : قضاة دمشق ص ٥٠ وسمى الانتصار بالانتصاف .

ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٤/٢٨٣ . وذكر صفوة المذهب في نهاية المطلب

والانتصار .

الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ٤/٢٧٩ .

جزءاً في جواز قضاء الأعمى^(١). وأضاف البغدادي^(٢) في «هدية العارفين» فتاوي ومسلسلات في الحديث.

ج - انتاج شرف الدين الأدبي :

وإلى جانب ما اشتهر به شرف الدين من علوم الفقه والأصول والخلاف والفتاوي والقضاء يجب ان نشير إلى الجانب الأدبي من حياة ابن أبي عصرون فقد كان شاعراً أديباً اورد له العماد الأصفهاني وغيره مقطوعات شعرية كثيرة تتم عن احساس متدفق وخيال خصب واسع ونفس مجربة عرقتها الحياة. واليك الوائناً من أشعاره :

ذكر العماد الأصفهاني تلميذ شرف الدين وصديقه انه كان يحضر الى شرف الدين ويقرأ عليه مصنفاً خاصة المصنفات المذهبية واستفاد منه واخذ عنه ويقول الأصفهاني : وما اتفق لي ان استملت شيئاً من نظمه وذلك راجع لانصرافي الى الاستفادة من علومه الأخرى ومصنفاته الفذة «فانَّ زمانه اعز واحسانه لعطف الطالب أهز، واستغيت عن التماس شعره بما انشدنيه الفقيه الشهاب محمد بن يوسف الغزنوي مما استملاه منه» ومن هنا يبدو لنا ان الشهاب محمد هو احد تلاميذ شرف الدين ابن أبي عصرون .

ومن جملة هذه الاشعار نقتطف :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| أيا تاج الأئمة والمرجى | لكشف المشكلات من الأمور |
| إذا ما الدار سهم ضاق فيها | مع الافراز من نفع يسير |
| وبأقيها فسهم ليس يخلو | مع الافراز من نفع كبير |
| فان نبع الكثير فهل مكان | لشفعة ذلك الجزء الحقير |

(١) بدران : منادمة الأطلال ص ١٣٣ .

(٢) البغدادي : هدية العارفين ١/٤٥٧ - ٤٥٨ .

وهل تجري ولا اجبار فيها مع الحمّام والبير الصغير^(١)
ولم يسع شرف الدين بن أبي عصرون الا ان يجيب الأصفهاني على
قصيدته بدهاة وارتجالاً وذلك لسرعة خاطره وحضور ذهنه وتمكنه من أساليب
اللغة وملكة النظم والخيال الواسع والالفاظ الخصبه الجزلة المعاني فقال:

أرى الشخص الذي لا نفع فيه كبيراً كحمام صغير
وفي الكل الخلاف وان رأيي ليشبت شفعة السهم الحقير
وترهفه المضرة حين باعوا فما غير التشفع من مجير^(٢)
وسئل شرف الدين عن البيع شعرا:

إذا ما البيع كان بغير عقد وقد سكن التراضي في القلوب
فهل من مآثم يخشى اذا ما أعاد الخلق علام الغيوب
أجب عما سئلت أتيت اجراً من الرحمن كشاف الكروب

فأجاب شرف الدين كعادته ارتجالاً شعرا:

إذا وجد التراضي في القلوب ولا لفظ لداع أو مجيب
فلا بيع ولا يخشى قصاص عليه عند علام الغيوب
فخذ هذا الجواب عن ارتجالٍ تنال به مرادك عن قريب
ثواب الله أرجو في جوابي وحسبي بالمهيمن من مُثيب
لعبدالله ناظمها ذنوب وعفو الله محاء الذنوب^(٣)

ولم يقتصر شعر شرف الدين على هذا اللون فقط والذي هو أشبه بالنظم
منه بالشعر بل تطرق الى لون آخر فطرق باب الحكمة، ومن هذا القبيل ما

(١) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم الشام، ٣٥٤/٢.

(٢) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم الشام ٣٥٥/٢.

(٣) المصدر السابق ذكره.

رواه الأصفهاني، ومنه :

كل جمع إلى الشتات يصير
أنت في اللهو والاماني مقيم
والذي غره بلوغ الأماني
ويك يا نفسي اخلصي ان ربي
أي صفو ما شابه تكدير
والمنايا في كل وقت تسير
بسرابٍ وحُلب مغرور
بالذي أخفت الصدور بصير^(١)

ومنه :

أومل وصلأ من حبيب وانبي
تجاري بنا خيل الحمام كأنما
فيا ليتنا متنا معاً ثم لم يذق
على كمدٍ عما قليل أفرقه
يسابقي نحو الردى وأسابقه
مرارة فقدي لا ولا أنا ذائقه^(٢)

واورد له الأصفهاني عدة مقطوعات في معان متنوعة منها :

أؤمل ان أحيا وفي كل ساعة
وهل أنا الا مثلهم غير ان لي
تمر بي الموتى تهز نعوشها
بقايا ليال في الزمان أعيشها^(٣)

(١) الأصفهاني : خريدة القصر قسم الشام ٣٥٤/٢ .

الاسنوي : طبقات الشافعية ١٩٥/٢ لم يذكر البيت الثالث وذكر الرابع كالتالي :

ويك يا نفس اخلصي ان ربي بكل ما اخفيته لبصير

ابن تغري بردي (أبوالمحسن) : النجوم الزاهرة ١١٠/٦ روى البيتين الأولين فقط .

(٢) الأصفهاني : الخريدة قسم الشام ٣٥٥/٢ المصدر السابق نفسه .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وقد روى البيت الأول هكذا .

أؤمل وصلأ من حبيب وانبي على ثقة عما قليل أفرقه

الصفدي : نكت الهميان ص ١٨٦ .

الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ٢٨٠/٤ نقل رواية ابن خلكان .

(٣) الأصفهاني : الخريدة / قسم الشام ٣٥٧/٢ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥٥/٣ .

ومنها:

يا سائلي كيف حالي بعد فرقته
قد أقسم الدمع لا يجفو الجفون أسىً
حاشاك مما بقلبي من تنائيك
والنوم لا زارها حتى ألافيكاً^(١)

ومنها:

وما الدهر الا ما مضى وهو فائت
وعيشك فيما أنت فيه وانه
وما سوف يأتي وهو غير مُحصل
زمان الفتى من مجمل ومفصل^(٢)

ومنها:

أمستخبري عن حنيني إليه
لك الخير ان بقلبي إليك
وعن زفراي وفرط اشتياقي
ظماً لا يُرويه غير التلاقي^(٣)

ومنها:

كنت اذا كنت عدياً
ثم اثريت وأعرضت ولم
لي خلا وندبها
ترع قديها

الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٦.

الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٥/٢.

العيني: عقد الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ج-١٣ ص ٧٦ - ٧٧.

الحسيني (المصنف): طبقات الشافعية ص ٨١.

الطباخ الحلبي: المرجع السابق نفسه.

(١) الأصفهاني: الخريدة قسم الشام ٣٥٦/٢ مصدر سابق.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٥/٣ مصدر سابق.

الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٦ مصدر سابق.

(٢) الأصفهاني وابن خلكان: المصدران السابقان نفسها.

(٣) الأصفهاني: خريدة القصر/ قسم الشام ٣٥٦/٢ المصدر السابق.

ردك الله إليّ ودي مديونا غريباً^(١)

وهكذا نرى ان شخصية شرف الدين ابن أبي عصرون من الشخصيات المتميزة فهي متكاملة الجوانب لها اثرها في مجال القضاء والفتيا والسياسة والادارة والدبلوماسية والسفارة تتمتع بقدر كاف من العلم والادب أهلها إلى ان تتسلم أرقى المناصب وارفعتها وهي قضاء القضاة والسفارة ومشیخة الشافعية في عصرها.

(١) المصدر السابق ذكره ٣٥٧/٢.